

فنّ المديح لدى الشاعرة نانا أسماء بنت عثمان بن فودي: دراسة أدبية لدائيتها في مدح الشيخ أحمد بن محمد الشنقيطي الموريتاني

إعداد:

بشير مالمى ساعي

basharmalamisai2@gmail.com

07066542088

Brilliant Footsteps Academy, Western Bypass Sokoto

المقدمة

الحمد لله أهل الحمد والثناء، والصلاة والسلام على النبي القائل: "إنّ من الشعر حكمة"^(١) وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته غر الميامين، ومن تبعهم بإحسان السلوك إلى يوم الدين.

وبعد: التراث هو الكنز الباقي عبر السنين، يقف شاهداً على عظمة الأجداد وخيبة الأحفاد، وقد حظي الأدب العربي النيجيري بالاعتناء الذي لا يقل شأنه عن غيره من قبل الأدباء، وخاصة في القرن التاسع عشر الميلادي حيث أسس مجدد الدين الإسلامي الشيخ عثمان بن فودي دولة إسلامية في غرب أفريقيا، وكانت منطقة صكتو عاصمة الدولة، فقام الأدباء والوعاظ على ساق الجد في نشر الثقافة العربية الإسلامية، ولم يألوا جهداً في ذلك خلال التأليف والإنتاج التي كانت بعضها بالعربية، ومن بين هؤلاء الأدباء الشاعرة الأديبة الأريبة نانا أسماء بنت عثمان بن فودي، التي كرسّت حياتها في التأليف والإنتاج الأدبي القيم بمختلف أغراضه، الأمر الذي حفز الباحث إلى كتابة مقالة بعنوان: "فنّ المديح لدى الشاعرة نانا أسماء بنت عثمان بن فودي، دراسة أدبية لدائيتها في مدح الشيخ أحمد بن محمد الشنقيطي الموريتاني". لعل الباحث في هذه المحاولة يحرّك

أفكار الباحثين الراكدة لدراسة تلك الانتاجات، وسيدور محور هذه المقالة على النحو التالي:

- المقدمة
- نبذة يسيرة عن الشاعرة
- عرض القصيدة
- التحليل الأدبي للقصيدة
- الخاتمة
- الهوامش والمراجع

نبذة يسيرة عن الشاعرة:

هي نانا^(٢) أسماء بنت مجدد الدين الإسلامي في غرب أفريقيا، الشيخ عثمان بن محمد فودي الفلاني التوردي^(٣)، نسبة إلى فوت تورو، وهي منطقة تقع إلى الشمال الشرقي من جمهورية السنغال والجنوب الغربي من جمهورية موريتانيا، ويفصل نهر السنغال بين جزئها الغربي والشرقي، حيث يقع الجزء الغربي في السنغال والجزء الشرقي في موريتانيا^(٤) ووالدتها السيدة ميمونة، أولى زوجات الشيخ المجدد^(٥) ولدت الشاعرة نانا أسماء في قرية "طغل" في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي (١٧٩٢م)، وهي إحدى التوأمن الذين أنجبتهما الوالدة آنذاك، وتزوجت أسماء بأحد أبناء عمر ألكم صاحب الشيخ عثمان بن محمد فودي^(٦) بعد ابتداء الجهاد في سنة ١٨٥٧م، ولها من العمر خمس عشر سنة، ثم تزوجت بغطاطو ابن ليم^(٧)، وقد نشأت الشاعرة وترعرعت في أسرة تهتم بالعلم والدين اهتماما بالغاً، فعاشت حياة علمية طيبة، مع كون النساء لا

يتحولن كما يتحول الرجال في طلب العلم، أخذت العلم والأدب عن أصحاب البراعة والبيان من أسرتهما، منهم: والدها المجدد عثمان بن فودي، وزوجها والديها وهما: السيدة حواء وعائشة المشهورة بلقبها (عَبْطُو)^(٨) وأخوها أمير المؤمنين محمد بلو، وأختها خديجة، وغيرهم^(٩) فحفظت القرآن كله في عنفوان حياتها، واستمرت في التحصيل حتى كانت بارعة وماهرة في العلوم العربية والدينية، وكانت ممن يشار إليهم بالبنان، وكانت الشاعرة تقرض الشعر في ثلاث لغات: اللغة العربية الفصحى والفلاتية والهوسا، وترجمت كثيرا من مؤلفات والدها الشيخ عثمان بن فودي إلى لغة الهوسا، والجدير بالذكر إنها تجيد خمس لغات تقريبا، وهي العربية والهوسا والفلاتية والطوارق والبربر^(١٠) وتلمذ على يدها طلاب كثيرون أشهرهم: بنغل^(١١) وفاطمة الزهراء، وحواء، وكل هؤلاء الثلاثة توفين قبل نانا أسماء حتى رثت بعضهن الشاعرة نانا أسماء رحم الله الجميع، وقد قامت هذه الأدبية بأدوار فعالة جلييلة في إعلاء كلمة الإسلام، منها أنّها شاركت في العديد من المعارك الجهادية حيث تنشد قصائد تشجع بها المجاهدين وتحرضهم على القتال، وكانت تساعد الجرحى في ساحات القتال، كما أسست الشاعرة منظمة أسمتها "يَنْتَار"، وهو نظام تعليمي أبدعته الشاعرة لنساء عجائز يأتين من بوادي وقرى مختلفة دفعة تلو أخرى، ومع كل دفعة قائدة التي تسمى بلغتهم الفلاتية "جاج" يجتمعن عند الشاعرة، وكانت الشاعرة تدرسهن القرآن والتفسير والحديث والفقّه وغيرها من العلوم الدينية، ثم بعد تفقهن يُعدن إلى بلادهن للوعظ والإرشاد^(١٢) ويقوم بعضهنّ أيضا بالذكر وإنشاد بعض القصائد لممدح رسول صلى الله عليه وسلم وأولياء الرحمن، وزيارة بعض الأماكن المحترمة، والتي

ترشدهن إلى ذلك كله هي شاعرتنا الكريمة^(١٣)، وبعد وفاتها تصدرت لذلك أختها مريم بنت عثمان بعد وفاة زوجها أمير كانو إبراهيم دابو^(١٤).

وفاتها

توفيت الشاعرة سنة ألف وثمان مائة وستين (١٨٦٠م)، ودفنت مع والدها في حبارى (مزار الشيخ المجدد عثمان بن محمد فودي - رحم الله الجميع^(١٥)) وخلفت الشاعرة تراثا علميا قيما في مجالات مختلفة يزيد على الخمسين، وجمعت الباحثة "Jean Boyd" "جين بويد" عددا كبيرا في مؤلف أسمته: "The Collected works of Nana Asma'u..." (مجموعة أعمال نانا أسماء)^(١٦)، وأوردت فيه إنتاجات قيمة في مجالات مختلفة شعرا ونثرا في اللغات الثلاثة:- العربية والهوسا والفلاتية، فهذه دلالة واضحة على عبقرية هذه الشاعرة.

عرض القصيدة:

هذه القصيدة دالية القافية، وهي على بحر الكامل، وتقع في أحد عشر بيتا، صاغتها الشاعرة تمدح بها الشيخ الحاج أحمد بن محمد الشنقيطي المريناني لَمَّا مرَّ بمدينة صكتو - عاصمة الدولة العثمانية في بلاد السودان - في طريقه إلى بلاد الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، وقد ذكر الوزير جنيد بأنها قرضت هذه القصيدة إجابة لقصيدة أرسل إليها الممدوح.

وهي:

أكرم بجهبذنا الكريم الوافد	من أرضه نحو المدينة قاصد
يعتام ذاك البيت والقبر الذي	ضاءت به أنوار كل معاهد
تسمو به نجب يذلها الهوى	وتهين سعي المستحث الراشد

واعلم بأنّا قد فرحنا غاية
 لاسيما لأخ نسيب فارح
 قد جاءنا بعمارة من علمه
 فجزاك ربّ العرش خير جزائه
 وأتم سعيك بالمناسك في منى
 وأتاح وصلك للمدينة بعدها
 بمكانة المختار سيدنا الذي
 صلى عليه الله خير صلاته
 بمرور ركب للأحبة قاصد
 في العلم ذي قدم رفيع صاعد
 وبلاغة من نشره وقصائد
 عنا بحسن كلامك المتوارد
 والسعي في العرفات بيت الواحد
 وزيارة بمزائر ومشاهد
 تمسو لزورته بعزم ناهد
 مقرونة بسلامة المتزايد^(١٧)

التحليل الأدبي للقصيدة:

مضمون القصيدة:

أجادت الشاعرة في إظهار مكنون صدرها وأبدت سرورها وفرحها بقدم
 ممدوحها الشيخ الحاج أحمد بن محمد الشنقيطي المريني، حيث استهلّت
 القصيدة بما يجذب عقول السامعين، وبدأت بفعل التعجب تتعجب بهذا السيد
 الكريم. وخالفت سنة الشعراء القدامى من الوقوف على الأطلال والبكاء على
 مفارقة المحبوبة وما يشبه ذلك للتقليد كما يقول واحد منهم:

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحول^(١٨)

فشاعرتنا لم تستهل بالوقوف على الديار والأطلال، لأن ذلك نوع من الهزل
 واللعب، بل إنهما توغلت مباشرة في الفكرة^(١٩).

وأما غرض القصيدة فهو المدح، بدأت بذكر صفات الممدوح مقارنة ذلك بوصف رحلته إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويلمس ذلك كله من قولها:

أكرم بجهدنا الكريم الوafd من أرضه نحو المدينة قاصد

يعتام ذاك البيت والقبر الذي ضاءت به أنوار كل معاهد

تسمو به نجب يذلها الهوى وتهين سعي المستحث الراشد^(٢٠)

الشاعرة تتعجب بهذا الممدوح في قولها "أكرم بجهدنا"، وتذكر سبب رحلة الممدوح إلى مكة، ومغادرته مسقط رأسه، وهو العزم في أداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة المنورة.

ثم واصلت في إظهار فرحها وسرورها بمرور ركب الخيل الذين توجهوا نحو مكة والمدينة مع الممدوح ولكنها أخصت ممدوحها بالذكر وفضلته على بقية الوافدين الذين أظهرت من أجل مرورهم غاية سرورها وفرحها، استمع إليها قائلة:

واعلم بأننا قد فرحنا غاية بمرور ركب للأحبة قاصد

لاسيما لأخ نسيب فارغ في العلم ذي قدم رفيع صاعد^(٢١)

وهكذا استمرت الشاعرة في وصف ممدوحها وبيان منزلته العلمية، ومساهمته في نشر العلوم الدينية واللغوية بأقسامها، من نحو وصرف وبلاغة وأدب بقسميه وعروض وقافية وغيرها، ويستفاد ذلك من قولها:

لاسيما لأخ نسيب فارغ في العلم ذي قدم رفيع صاعد

قد جاءنا بعمارة من علمه وبلاغة من نشره وقصائد^(٢٢)

وفي الختام شرعت الشاعرة في دعاء الخير للمدوحها سائلة الله رب العرش العظيم له الجزاء الحسن عن جزيل مساهمته الجبارة في نشر العلوم الدينية واللغوية إلى بلادنا بلاد السودان، وأن يساعد المدوح أيضا في أداء المناسك، ويقدر الله سبحانه ذهاب المدوح إلى المدينة المنورة سالما غانما لزيارة المزائر من المسجد النبوي الشريف وروضة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وبقية المشاهد الموجودة في المدينة وما حولها، وتكون دعائها مستجابة توصلت إلى الله بمكانة المختار صلى الله عليه وسلم، ويتضح هذا من قولها:

فجزاك رب العرش خير جزائه عنا بحسن كلامك المتوارد
وأتم سعيك بالمناسك في منى والسعي في عرفات بيت الواحد
وأتاح وصلك للمدينة بعدها وزيارة بمزائر ومشاهد
بمكانة المختار سيدنا الذي تمسو لزورته بعزم ناهد^(٢٣)
ثم ختمت القصيدة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما يفعله
الشعراء الجاهليون، قائلة:

صلى عليه الله خير صلاته * مقرونة بسلامة المتزايد^(٢٤)

العاطفة:

إن الأدب تعبير عن شعور الأديب بما يحيطه من الظروف في الشكل الذي يؤدي إلى مشاركة الآخرين معه، فإن العاطفة هي أساسه الذي ينتمي إليه الأديب، وهي لازمة لأيّ إنتاج أدبي جيد، وهي البواعث والدواعي التي دفعت الأديب إلى إنتاجه الأدبي^(٢٥) وهي التي تكسو الأدب الروح والجمال، والبقاء عبر الأيام والعصور.

وإن عاطفة الشاعرة نانا أسماء في هذه القصيدة صادقة صحيحة قوية، لأنها صادرة عن إعجاب صادق بحسن فعال الممدوح، ذلك لأنها قرضت القصيدة تمدح بها ممدوحها وهو الشيخ الحاج أحمد بن محمد الشنقيطي المرتاني لمّا مرّ بمدينة صكتو في طريقه إلى بلاد الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، وتبدي غاية سرورها لقدم الممدوح بالعلوم اللغوية الشرعية متنوعة. استمع إليها قائلة:

أكرم بجهننا الكريم الوافد * من أرضه نحو المدينة قاصد^(٢٦)

وقولها:

واعلم بأننا قد فرحنا غاية * بمرور ركب لأحبة قاصد
 لاسيما لأخ نسيب فارغ * في العلم ذي قدم رفيع صاعد
 قد جاءنا بعمارة من علمه * وبلاغته من نشره وقصائد^(٢٧)

والمأمل لهذه القصيدة وخاصة هذه الأبيات فإنه سيشارك الشاعرة في الفرح بقدوم الممدوح، لأنّ الشاعرة تمدح الممدوح بكل إخلاص.

ومما يزيد لعاطفة الشاعرة حرارة، دعائها للممدوح بالخير، لأنها قلما تصدر إلا عن قلب صادق ومطئن بالممدوح:

فجزاك رب العرش خير جزائه عنا بحسن كلامك المتوارد
 وأتم سعيك بالمناسك في منى والسعي في عرفات بيت الواحد
 وأتاح وصلك للمدينة بعدها وزيارة بمزائر ومشاهد
 بمكانة المختار سيدنا الذي تمسو لزورته بعزم ناهد^(٢٨)

فلا شك أن الشاعرة تتمتع بعاطفة جياشة وصادقة الانفعال، راجع القصيدة كلها تدرك تماما أن العاطفة تلتهب وتتعجج في القصيدة، وستشاركها في الفرح ولا تسأم، ومما يدل على نباح الشاعرة أنها استطاعت أن تلفت أنظار المستمعين

إليها وتنتقل بهم إلى ما تشعر به حين وضعت اللبنة الأولى لهذه القصيدة، بحيث يحس المستمع بما تحس به الشاعرة.

الأسلوب:

والأسلوب عند النقاد عبارة عن "الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره ويبين فيها ما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات" (٢٩). فالأسلوب إذاً، طريقة اختيار الألفاظ وصوغها وترتيبها في التراكيب والمعاني التي تحملها تلك الألفاظ والتراكيب.

فهدف المقالة هنا الوقوف على أسلوب شاعرتنا نانا أسماء بنت المجدد عثمان بن محمد فودي النيجيري في هذه القصيدة لإبراز ما فيها من الروعة والجمال الفني مبدوءة بدراسة ألفاظ القصيدة ثم تراكيبها التي تجلب لقصيدة رونقا وجمالا حتى تؤدي دورها أداء لائقا:

الألفاظ:

وقد أحسنت الشاعرة في اختيارها ألفاظا رائعة ملائمة في المكان، ومن بين هذه الألفاظ كلمتي "نحب" و "المستحث" من قولها:

تسمو به نحب يدللها الهوى * وتهين سعي المستحث الراشد (٣٠)

والملاحظ من البيت الدقة في اختيار كلمة "نحب" التي توحى بدلالتها إلى خيار الخليل، وبإمكان الشاعرة أن تستعمل كلمة "الجواد" بدلا من "نحب" لكنها أعرضت عنها لأنها لا توحى إلى الخلوص والخيار (٣١) وهكذا اختيارها كلمة "المستحث" التي تعني بلوغ الغاية في العدو والإسراع (٣٢) بدلا من كلمة

"المسرّع" التي تعني مجرد المبادرة^(٣٣) أو السر في استخدامها هذه الكلمة "المستحث" في هذا المكان، هو مناسبتها حيث تقي تفعيلات القصيدة من الكسر، بخلاف ما إذا استخدمت كلمة "المسرّع" التي توجب اضطراب تفعيلات عجز البيت الثالث من القصيدة، ومهما يكن من الأمر فإن الشاعرة موفقة في استعمال هذه اللفظة في هذا المكان.

ومن سمات جودة أسلوب الشاعرة استعمالها الأسماء المشتقة في أماكنها المناسبة منها "الصفة المشبهة"، تقول الشاعرة:

لاسيما لأخ نسيب فارع * في العلم ذي قدم رفيع صاعد^(٣٤)

وكلمة "فارع" من باب فرح وفعله فرع يفرع، وأوردتها الشاعرة هنا لتعبر بها عن الثبوت واللزوم، أي ثبوت الصفة ولزومها لصاحبها، والمعنى: أن الشاعرة وصفت الممدوح بأنه بلغ الغاية في العلو والارتفاع والسمو في العلم، وله قدم راسخ فيه، وهو ثابت في هذه الصفة ولا تزول عنه^(٣٥).

ومن حسن السبك لدى الشاعرة استخدامها الجمل الفعلية في أماكنها المناسبة لتفيد بها التجدد والاستمرار، ويلمح هذا من قولها:

يعتام ذاك البيت والقبر الذي * ضاءت به أنوار كل معاهد

تسمو به نجب يذلها الهوى * وتهين سعي المستحث الراشد^(٣٦)

وألفاظ "يعتام" و"تسمو" و"تهين" كلها أفعال مضارعة، وأوردتها الشاعرة لتدل بها على استمرار هذه الصفات في الممدوح، كما تقتضيه القواعد البلاغية^(٣٧)

ومما أكسب أسلوب الشاعرة الجودة: "التعجب" وهو انفعال النفس لزيادة وصف في المتعجب منه، أو أن ترى الشيء يعجبك تظن أنك لم تر مثله^(٣٨).

وقد استهلت الشاعرة القصيدة بهذه الظاهرة لتجذب به عقول السامعين، استمع إليها قائلة:

أكرم بجهبذنا الكريم الوافد * من أرضه نحو المدينة قاصد^(٣٩)
والشاهد في البيت "أكرم بجهبذنا" ومعناه: "كرم هذا العالم الكبير" فيكون:
"أكرم" فعل ماض مبني على السكون، أتى على صورة الأمر ليدل على إنشاء
التعجب، و"بجهبذنا": الباء حرف الجر الزائد وجوبا، و"جهبذ" فاعل مرفوع
بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها حركة حرف الجرّ الزائد^(٤٠) أو إنّ
قولها: "أكرم بجهبذنا" أمرٌ لكل أحد بأن يجعل هذا الممدوح كريما، أي بأن يصفه
بالكرم، ويكون فاعل "أكرم" مستترا تقديره "أنت" كما ذهب إليه
الزمخشري^(٤١).

ومن روائع التراكيب الجيدة "الوصل" وهو: "عطف جملة على أخرى بحرف
العطف، و"الفصل" ترك هذا العطف^(٤٢) وقد أحسنت الشاعر في استعمال هذه
الظاهرة، استمع إليها:

تسمو به نجب يذلها الهوى * وتهين سعي المستحث الراشد^(٤٣)
فبتأمل جملي هذا البيت، وهما "تسمو به نجب" و"تهين سعي المستحث"
يلمس رابطة تجمع بينهما وهي التماثل بين المسندين فيهما، وليس هناك من
سبب يقتضي الفصل بينهما، ولذلك عطفت الجملة الثانية على الأولى بواو
العطف^(٤٤) وهكذا استعمالها الفصل في مقامه في قولها:

أكرم بجهبذنا الكريم الوافد * من أرضه نحو المدينة قاصد^(٤٥)

ويلاحظ اتحاد تام في المعنى بين جملي هذا البيت، وهما "أكرم بجهدنا" و"نحو المدينة قاصد"، فالجملة الثانية "نحو المدينة قاصد" لم تأت إلا لإيضاح إبهام الأولى وهي "أكرم بجهدنا" فهي بيان لها^(٤٦)

الخيال:

والخيال قوة تجسد المعاني حتى تثير المشاعر وتربط عالم الشعور بعالم الإدراك، وذلك لكونها أداة حيّة عاملة في ذاكرة الأديب. يقول أحد النقاد في تعريف الخيال بأنه "الصور التي يختلقها العقل ويؤلفها من إحساسات سابقة"^(٤٧).

وقد أحسنت الشاعرة في استعمال هذه الظاهرة مما يبرهن على أنّ القصيدة ممتلئة بآيات الفنّ. ومن ذلك قولها:

قد جاءنا بعمارة من علمه * وبلاغة من نشره وقصائد^(٤٨)

فالشاعرة في هذا البيت تجربنا بأنّ الممدوح وهو الشيخ أحمد بن محمد الشنقيطي -رحمه الله- بلغ الغاية في العلم والتقوى والحكمة في نشر العلوم الدينية واللغوية بأقسامها، التي جاءنا بها في هذه البلاد، ولما أرادت أن تبين مقدار هذه العلوم التي سقانا الممدوح من فيوضها فأحياناً بنشر ربيعها شبّهتها بالعمارة بجامع الأحياء في كل، ولما حذف الشاعرة المشبه واستعارت اللفظ الدال على المشبه به وهو "العمارة" للمشبه وهو الممدوح صارت استعارة، ولأنّ المشبه به وهو "العمارة" مصرح به سميت الاستعارة "تصريحية"، والقريظة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي لفظية وهي كلمة "جاء" الواردة في البيت، وهذه من أعلا مراتب الاستعارة في البلاغة وقوة المبالغة، هذا الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب كل مذهبه^(٤٩).

الموسيقى الداخلية:

إنّ موسيقى الشعر الكاملة لا تتكون من الإيقاع العام أو العروضي وحده بل تنشأ من الإيقاع الداخلي، ويعدّ التصريع من أهم عناصر الإيقاعات الداخلية فهو يسهم في إثراء الحركة الموسيقية اللازمة لبنية القصيدة الفنية لما فيه من نغمات تجعل النفس تتلقاه بالارتياح والقبول لأنه أول ما يقرع السمع. وهو: "عبارة عن استواء عروض البيت و ضربه وزناً و إعراباً و تقيفة"^(٥٠) أي أن يكون عروض النصف الأول مطابقاً لعروض النصف الثاني من البيت^(٥١).

والتصريع من علامات إجادة الشاعر فإنه دال على سعة فصاحته، واقتدار منه في بلاغته، فهو يُعدّ أذن المتلقي و يمهد لمعرفة القافية و تقبلها. ومن سمات التصريع في هذه القصيدة كلمتي "الوافد" و "قاصد" في هذا البيت:

أكرم بحهبذنا الكريم الوافد * من أرضه نحو المدينة قاصد^(٥٢)

فالتزمت الشاعرة في البيت الدال روياء، والياء وصلاً، والألف الذي توسط بينه وبين الروي حرف صحيح "تأسيساً" في العروض و الضرب مع عدم تغيير صيغة العروض^(٥٣). ومن الجودة في الموسيقى "التكرار" وهو أن يكرر المتكلم اللفظة أو المعنى لتأكيد الوصف أو المدح أو غيرهما، وله الأهمية الكبرى في تأدية المعنى وتأكيد^(٥٤)، وقد كررت الشاعرة حروفاً وألفاظاً لتزيد قصيدتها رونقاً وجمالاً، ومما استخدمت الشاعرة من ذلك "الصفير" وهو صوت زائد يشبه صوت الطائر، ومن حروفه "السين والزاي"^(٥٥) وقد كررت الشاعرة "السين" إثني عشرة مرة، وهي "تسمو" و"سعي" و"المستحث" و "لاسيما" و "نسيب" و"بحسن" و "سعيك" و"بالمناسك" و "السعي" و "سيدنا" و"تمسو" و "سلامة" والزاي سبع مرات وهي: "فجزاك" و "جزائه" و"زيارة" و"بمزائر" و "لزورته" و"بعزم"

و"المتزايد" بحيث قلما يخلو بيت منهما، والسين والزاي بصفتها متكرران الشدة في السين والجهر في الزاي يهتزان طرف اللسان مما يلي رأسه عند خروجهما، وكأنّ المستمع يسمع عند إنشاد هذه القصيدة صوتاً يشبه صوت بعض طيور بنغمات وذبذبات ونشاطات جيدة تجذب عقول السامعين ومشاعرهم عبر هذه النغمات والذبذبات، ذلك لأنه مناسبة للفرح والسرور.

وقد كررت الشاعرة أيضا ألفاظا تصف بها الممدوح بكثير من الصفات القيمة، كالجهد، الكريم، أخ نصيب، فارغ في العلم، ذي قدم رفيع، الذي جاء بعمارة من العلم. ويرجح الباحث أنها ما كررت هذه الصفات إلا لتظهر عنايتها الفائقة نحو الممدوح.

ومن روائع الموسيقى الداخلية "التجنيس" وهو "أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى" (٥٦) وهو عظيم الموقع، جليل القدر في الفصاحة، وتمثل ظاهرته في قول الشاعرة:

وأتم سعيك بالمناسك في منى * والسعي في العرفات بيت الواحد (٥٧)
والشاهد في البيت كلمتا "سعيك" و"السعي" حيث اتفقتا في أنواع الحروف وعددها وهينأها وترتيبها واختلفتا في المعنى، لأنّ الكلمة الأولى تعني مجرد الذهاب إلى المناسك بينما الثانية تدل على الطواف بالبيت، فهو جناس كامل مماثل (٥٨).

الموسيقى الخارجية:

سبق أنّ القصيدة دالية القافية، وهي على بحر الكامل، وسمي بالكامل لأنّ فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر، وله تسعة أضرب لم يحصل عليها بحر آخر (٥٩) هذا البحر مع كونه عذبا وسلسا، فهو سهل جدا، كثير المقاطع،

فإن اقترن بقافية سهلة كالنون مثلاً أو الدال ازدادت سهولته، لذلك امتطاه جمع من أهل المدح والنظم فنظموا فيه المطولات، فالشاعرة موفقة في اختيارها هذا البحر وزناً، وعلى هذا، فإن الوزن والقافية، من العوامل التي ساعدت على إبراز الشاعرة كوامنها الداخلية، وتصوير فرحها في النفس تصويراً لماعاً وخلاباً.

تقول الشاعرة نانا أسماء:

واعلم بأننا قد فرحنا غاية بمرور ركب للأحبة قاصد^(٦٠)

وعلم بأننا قد فرح/نا غايته بمرور رك/بن للأحب/بة قاصدي

متفاعلن/متفاعلن/متفاعلن متفاعلن/متفاعلن/متفاعلن

والملاحظ هنا، أنّ الوزن دخل فيه الإضمار وهو إسكان تائه في "متفاعلن"

فنقل إلى "مستفعلن"^(٦١).

والقافية عند الخليل عبارة عن الساكنين في آخر البيت مع ما بينهما من المتحرك، ومع الحركة التي قبل الساكن الأول^(٦٢) والقافية شريكة الوزن في الشعر، ولا يسمى الكلام شعراً حتى يكون له وزن وقافية، فهي تعطي الشعر نغمة موسيقية رائعة، فبقدر ما يكون فيها من حروف ملتزمة بقدر ما يكون لها من إيقاع موسيقي متميز، كما أنّها تضبط المعنى وتحدده، وتشد البيت، ولولاها لكانت القصيدة محلولة مفككة، وقد اختارت الشاعرة أن يكون روي قصيدتها "دالا"، وقافية البيت السابق هي "قاصد".

وهذه دلالة واضحة على جمال النص الأدبي لدى الشاعرة، وتمكّنها في فن

المدح.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة المتواضعة من تعريف الشاعرة نانا أسماء بنت عثمان بن محمد فودي، ودراسة قصيدتها الدالية في مدح الشيخ أحمد بن محمد الشنقيطي المرستاني دراسة أدبية، أدرك الباحث:

- أنّ الشاعرة نانا أسماء من عباقرة القرن التاسع عشر الميلادي.
- أن قصائدها من ضمن القصائد التي تُتخذ نموذجا للشعر العربي النيجيري.
- ودل هذا على أنّ الأسرة الفودوية المباركة ما وقفت حول تجديد الدين الإسلامي فحسب، بل ساهمت في تطوير الأدب العربي النيجيري شعرا ونثرا.
- أن النساء في خلافة صكتو الإسلامية ساهمن في تطوير اللغة العربية والثقافة الإسلامية. أضف إلى ذلك أنّهن لو أدبن وتعلمن وتربين تربية إسلامية يستطعن أن يساهمن في جميع ميادين الحياة دنيويا وأخرويا.
- ويوصي الباحث الإخوان بأن يوجهوا دراساتهم إلى تراثنا العربي النيجيري القيم، والعمل به.
- وقد ذكر الباحث أن هدفه في هذه المقالة: دراسة قصيدة الشاعرة دراسة أدبية، والرجاء أن يتحقق الهدف في الصفحات المتقدمة.

الهوامش والمراجع:

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي: الحافظ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، نشر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) سنة ١٤٢٢م، ج ٨، ص: ٣٤، رقم الحديث: ٦١٤٥

(٢) كلمة فلاتية، معناها: السيدة، ينظر: أبو محمد، ناصر الدين أبوبكر عمر، ألقني بهم، نشر المؤسسة المالكية قوفر عتيق صكتو/نيجيريا للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م، ص: ١

(3) Zainab Sambo Gidadawa: **Takaitaccen Bayani game da Nana Asma'u Bin Shehu Usmanu Fodiyo**, Matar Waziri Gidado (Tushen Gidadawa), Jan. 2006, p3

(٤) ينظر: صالح، عمر محمد، الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ص: ٤٠.

(٥) خديجة عباس يحيى، الموازنة بين مرثية نانا أسماء على صديقتها عائشة ومرثية الوزير جنيد على معلمته حواء، دراسة أدبية، رسالة مقدمة إلى جامعة عثمان بن فودي صكتو، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، قسم اللغة العربية، لنيل الشهادة الليسانس في اللغة العربية، سنة: ٢٠٠٤، ص: ٣

(٦) تؤكد الدكتور سعدية عمر بلو على أنّ زوج نانا أسماء الأول هو غطاطو، ولم تتزوج غيره، لا قبله ولا بعده، مقابلة هاتفية مع الدكتور سعدية عمر بلو، بتاريخ: ١٤/٠١/٢٠١٦م

- (٧) خديجة عباس يحيى، المرجع نفسه، والصفحة
- (٨) كلمة فلاتية، معناها: الجميلة، مقابلة هاتفية مع الأستاذ سيدى عيسى، بتاريخ: ٢٠١٦/٢/٢ م.
- (9) Sadiya Omar, PhD: **Yantarun Nana Asma'u Danfodiyo**, Tsarinsu da Taskace akokinsu, Zeetma Investment Limited, 2014, p1
- (10) Zainab Sambo Gidadawa: **Takaitaccen Bayani game da Nana Asma'u Bin Shehu Usman Fodiyo**, Matar Waziri Gidado (Tushen Gidadawa), Jan. 2006, p3
- (١١) كلمة فلاتية، معناها: طفلة، ينظر خديجة عباس يحيى، الموازنة بين مرثية نانا أسماء على صديقتها عائشة ومرثية الوزير جنيد على معلمته حواء، المرجع السابق، ص: ١٣
- (١٢) مقابلة شخصية مع أستاذ أبي بكر علي قَرْفِ، في دكان "غدن بنغو كمبيوتر" الذي كان قريبا من بيت أمير المؤمنين، صكتو، بتاريخ: ١٤/٠١/٢٠١٦ م
- (١٣) خديجة عباس يحيى، المرجع السابق، ص: ٣-٦
- (١٤) مقابلة هاتفية مع الدكتور سعدية عمر بلو، بتاريخ: ١٤/٠١/٢٠١٦ م
- (١٥) مقابلة شخصية مع أستاذ أبي بكر علي قَرْفِ، في دكان "غدن بنغو كمبيوتر" الذي كان قريبا من بيت أمير المؤمنين، صكتو، بتاريخ: ١٤/٠١/٢٠١٦ م
- (١٦) خديجة عباس يحيى، المرجع السابق، ص: ٨
- (17) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491
- (١٨) ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ص: ١٢، موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>

(١٩) والفكرة هي موضوع القصيدة وما اشتملت عليه من المعنى العام والمعاني الجزئية، ينظر: مسعد الهواري، قاموس البلاغة والنقد، نشر مكتبة

الإيمان، بلا تاريخ، ص: ١٤١

- (20) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491
- (21) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491
- (22) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491
- (23) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491
- (24) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٢٥) أحمد أحمد بدوي: الدكتور، أسس النقد عند العرب، نشر دار النهضة

القاهرة، بلا تاريخ، ص: ٥٠٤

- (26) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491
- (27) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491
- (28) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٢٩) أحمد أحمد بدوي: الدكتور، أسس النقد عند العرب، المرجع السابق،

ص: ٤٥٣

- (30) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٣١) ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون،

نشر دار الفكر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ج: ٥، ص: ٣٩٩، مادة: "نحب"

(٣٢) ابن منظور، جمال الدين: العلامة، لسان العرب، ج ١٢، ص: ٣٧٥،

مصدره: المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

(٣٣) الرازي، محمد: مختار الصحاح، نشر مكتبة لبنان - بيروت، ١٤١٥ هـ -

١٩٩٥ م، ص: ٣٢٦، مادة "سرع"

(34) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٣٥) ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، المرجع السابق، ج: ٤،

ص: ٤٩١، مادة: "فرع"

(36) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٣٧) فضل حسن عباس: الأستاذ الدكتور، البلاغة فنونها وأفانها (علم

المعاني)، نشر دار النفائس، ط ٢٠٠٩، ١٢ م، ج ١، ص: ٩٥

(٣٨) الزبيدي، تاج العروس، ج ٤، ص: ١٦٣-١٦٤، مصدره: المكتبة

الشاملة، الإصدار الأخير

(39) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٤٠) الأفغاني، سعيد، الموجز في قواعد اللغة العربية، ص: ٨،

مصدره: المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

(٤١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨ هـ)، المفصل في

صناعة الإعراب، تحقيق الدكتور علي بو ملح، نشر مكتبة الهلال -

بيروت، ط ١، ١٩٩٣، ج ١، ص: ٣٦٧

(٤٢) الهاشمي، أحمد: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، نشر دار

التوفيقية للتراث، ت: وحيد قطب، بلا تاريخ، ص: ٦١٣

(43) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٤٤) عبد العزيز عتيق: **الدكتور، علم المعاني**، نشر دار آفاق العربية

٢٠٠٦م، ص: ١٣٣

(45) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٤٦) عبد العزيز عتيق: **الدكتور، المرجع السابق**، ص: ١٢٥

(٤٧) شوقي ضيف: **الدكتور، في الأدب والنقد**، نشر دار المعارف، بلا تاريخ،

ص: ١١٩

(48) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٤٩) عبد العزيز عتيق: **الدكتور، علم البيان**، المرجع السابق، ص: ١١٢٤

(٥٠) مرعي الحنبلي، **القول البديع في علم البديع**، بتحقيق: محمد بن علي

الصامل، الرياض، دار كنوز أشبيليا ٢٠٠٤م، ص: ١٩٠

(٥١) يحيى بن حمزة اليماني، الطراز، **تحقيق الشرييني شريدة**، نشر دار الحديث

١٤٣١هـ/المحرية الموافق ٢٠١٠م، ج ٣/ص: ١٢٦

(52) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٥٣) عبد العزيز عتيق: **الدكتور، علم العروض والقافية**، نشر دار الآفاق

العربية، ط ١، سنة ٢٠٠٦م، ص: ١١٠-١٢٩

(٥٤) ناصر أحمد صكتو: الدكتور، التحليل اللغوي للأحاديث المختارة في وصف الساعة: دراسة أسلوبية، قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، ص: ٥٠. بتصرف.

(٥٥) محمد أحمد معبد، الملخص المفيد في علم التجويد، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١٢، سنة ٢٠٠٩م، ص: ٧٥-٨٠

(٥٦) الهاشمي، أحمد: السيد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، نشر شركة القدس-القاهرة، بلا تاريخ، ص: ١٣١٢

(57) Jean Boyd and Beverly B.Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٥٨) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، نشر دار إحياء العلوم - بيروت، ط ٤، سنة ١٩٩٨، ص: ١٣٥٤

(٥٩) علاء إسماعيل الحمزاوي، محاضرات في العروض والقافية، ص: ٢٣، مصدره: المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

(60) Jean Boyd and Beverly B. Mack: **The Collected Works of Nana Asma'u, Daughter of Usman Danfodiyo** (1793-1864), Sam Bookman Publishers Ibadan, 1999, P491

(٦١) ابن جني، عثمان: العروض، ص: ١٠، مصدره: المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

(٦٢) سعد الواصل، موسوعة العروض والقافية، ص: ٨٢، مصدره: المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير